الجامعة	**الأنبار**
الكلية	**التربية للبنات**
القسم	**التأريخ**
المرحلة	**الثالثة**
اسم المادة باللغة العربية	**فلسفة التأريخ**
اسم المادة باللغة الانكليزية	**Philosophy of History**
اسم التدريسي	**د.فاطمة سامي شهاب أحمد**
عنوان المحاضرة باللغة العربية	**الإشكاليةالمفاهيمية للتاريخ**
عنوان المحاضرة باللغة الإنكليزية	**The Conceptual Problematics of History**
رقم المحاضرة	**الاولى**
المصادر او المراجع	**المفصل في فلسفة التاريخ هاشم الملاح**

المحاضرة الاولى:

الإشكاليةالمفاهيمية للتاريخ The Conceptual Problematics of History

أ- الإشكالية التأصيلية:

إن إشكالية "التأصيل" لمفهوم التاريخ،تدل بلا ريب على أهمية هذا المفهوم، فقد عاد الفيلسوف "هيجل" إلى اللاتينية بحثاً عن جذور ذلك المفهوم، ورجع "جوزيف هورس" إلى اليونانية باحثاً عن جذرٍ لكلمة "histoire" الفرنسية، ولا حظ "لويس جوتشلك" أن الكلمة الانكليزية "history" مشتقة من الكلمة اليونانية "هستوريا" والتي يقول عنها أنها كانت تعني حسبما استخدمها "أرسطو" "سرداً منظماً لمجموعةٍ من الظواهر الطبيعية سواء جاءت مرتبة ترتيباً زمنياً أم غير مرتبة في ذلك السرد". وقد قابل محاولات التأصيل الغربية محاولات مماثلة لها في المشرق العربي الإسلامي، فقد نقل "هاملتون جب" عن "البيروني" في كتابه "الآثار الباقية" و"الخوارزمي" في "مفتاح العلوم" تأكيدهما على خطأ الرأي القائل بأن كلمة "تاريخ" معربة عن الأصل الفارسي "ماه روز" والتي يراد منها تعيين بدء الشهر، وفي مقابل ذلك لاحظ الأصل السامي العام لكلمة "تاريخ" في كلمة عبرية هي "يا ريخ" أو "يرخ" والتي يقصد بها في اللغة المذكورة "الشهر". وقد ذهب "حسين نصار" إلى أن كلمة "يا ريح" تنتمي إلى الأصل العربي القديم والمشترك في اللغات السامية والتي تعني "القمر"، ويفهم من هذا الرأي تقويماً أكثر شمولية وإيجابية بالنظر لأن العرب القدماء كانوا يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس كما أنهم يبنون تاريخهم على الليالي دون الأيام كما هو معروف في التقويم الهجري، وكون لفظ (التاريخ) أصيلًا في اللغة العربيَّة، وليس منقولًا إليها من لغاتٍ أخرى - هو الأقربُ إلى الصواب - لأنَّه لو كان هذا اللفظ معرَّبًا ما اختُلف حول أصل اشتقاقه: أهو مِن (أرَّخ) أو مِن (ورَّخ)! ولما كان الاختلاف قائمًا حول أصله بين القبائل العربيَّة، ولما فرَّق الأصمعيُّ بين لغة تميم وقيس، بقوله: "بنو تميم يقولون: (ورَّخت الكتاب توريخًا)، وقيسٌ تقول: (أرَّخته تأريخًا)"، وهذا الاختلاف يؤكِّد كون لفظ (التاريخ) عربيًّ.

ويتضح من هذا كلِّه أنَّ الكلمة قد أثارت جدلًا بين القدامى حول أصلها، وربما كان السبب في ذلك كونَ كلمة (تاريخ) لم ترد فيما وصل إلينا من الشعر الجاهليّ، كما أنَّها لم ترد في كتاب الله عز وجل، ولا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الإشكالية الفكرية:

تتميز إشكالية التاريخ بأنها ذات وجوه عديدة إذا ما كانت علاقتها بالفلسفة من جهة وعلاقتها بالعلم من جهة ثانية.

وإذا كان الاستفهام الممثل بعلامته الشهيرة "؟" عاملا مساعدا أكبرا للتوصل إلى معرفة المستفهم عنه، والقابع خلف هذه العلامة، والمحاط بالغموض والضبابية على اختلاف درجاتها، فأن ذلك يوجب التوسل به من أجل المساعدة في معرفة وفهم طبيعة إشكالية المصطلح التاريخي والتعرف على أبعادها. وتنقسم الإشكالية تبعا لهذه الأهمية البالغة إلى شقين:

-شق منهجي:

تكشف النقاب عنه جملة من التساؤلات المهمة، والتي يدور أولها حول نسبة التاريخ وانتمائه، وهل ما إذا كان التاريخ علما بالمفهوم الفيزيقي، متمحورا حول الموضوع التاريخي أو المادة التاريخية، محاولا علاج إشكالياتها والتنظير من أجل تقنينها، أم كان أقرب للأدب منه إلى العلم، ومن هنا تكون معالجاته منطلقة من التمحور حول الذات أو عقل المؤرخ؟ وهذا التساؤل أو الاستفهام ذو طابع فلسفي بامتياز.

وقد ساعد التطور العلمي الذي تسارعت وتيرته منذ القرن السابع عشر على ظهور دعوات متكررة للمؤرخين لإبداع مناهج بحث تاريخية تتمكن من محاكاة تقدم مماثل قادر على محاكاة العلوم الطبيعية في دقة نتائجها.

أما التساؤل الثاني فيدور حول موضوع التاريخ. ولما كان التأريخ يؤرخ للذين دخلوه ولعبوا دورا فيه وحركوا مساراته، فإن هذا سوف يؤدي بالضرورة إلى التساؤل عن هويات أولئك اللاعبين، وهل ما إذا كانوا قادة أو ساسة، أم كانوا خلاصة لفكر الأمم ممثلين بالعلماء والفلاسفة والمفكرين والشعراء والفنانين، والأنبياء إن كانوا قد ظهروا في مسرح تاريخ تلك الأمم؟. وهل يؤرخ التاريخ للجانب السياسي والعسكري بحسبانهما أبرز جوانبه، أم يؤرخ لفكر الأمة المعبر عن شخصيتها؟. وهل يؤرخ التاريخ لشخصيات أم لحضارات؟ لأفراد أم لأمم؟ وهذه المشكلة بدورها وإن كانت تخص المؤرخين إلا أن الفلاسفة قد لعبوا الدور الأكبر فيها، إذ أن التحول في العصر الحديث من التاريخ لأفراد إلى التاريخ لحضارات قد دعا إليه فلاسفة، وأصبح التاريخ لحضارات يتخذ موقفا وسطا بين التاريخ والفلسفة فيما اصطلح على تسميته بـ "فلسفة الحضارة".

ويشكل "الحكم التاريخي" محور السؤال الثالث، وتتضح معالم المعالجة حين يتصور التاريخ بأنه شيخ مسن مهيب الطلعة، ممسكا بيده قلما يسطر به على قرطاس الزمن حكمه على من دخلوا التاريخ. وههنا يولد السؤال بشكل أكثر وضوحا، حين يدور حول أحقية المؤرخ في ارتداء زي القضاة ليحكم على أفعال الشخصيات، أو حين يكون واقفا موقف لا مبالاة وعدم اكتراث باسم الحياد التاريخي؟ وهل يكتفي بذلك الحياد أم أن عليه تبرير لا أخلاقية بعض صانعي التاريخ؟ وهذه الأسئلة ترتبط بلا شك بالفلسفة الأخلاقية والفلسفة السياسية، وتنجم عنها بوضوح أسئلة

أكثر عمقا كالتساؤل عن مدى التشابه بين أخلاق الدولة وأخلاق الفرد؟ والتساؤل عن خضوع الدولة لما يخضع له البشر من تقييم وأحكام، أم أنها من طبيعة مخالفة فلا تخضع لما يخضع له الأفراد العاديون؟

-شق متعلق بقصور في طبيعة التاريخ ونقص في تركيبه.

من الطبيعي في سلوك البشر كراهة الاعتراف بالقصور أو النقص، ومن هنا يمكن بيسر فهم معارضة المؤرخين الشديدة لفلسفة التاريخ، لأن فلسفة التاريخ تقيم نظرياتها على أساس نقص في طبيعة التاريخ، وهو نقص لا يكمله إلا الفكر الفلسفي. ويمكن التماس نقطة البدء في فهم القصور في تركيب التاريخ وتعزيزه بفكر فلسفي لدى اثنين من كبار المفكرين في التاريخ البشري، أما ألأول فهو "ابن خلدون"، وهو مؤسس فلسفة التاريخ، وأما الثاني فهو "فولتير" وهو أول من أطلق تسمية "فلسفة التاريخ" على هذا الفرع من المعرفة. يقول ابن خلدون عن التاريخ:(هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول.)، والعبارة تفيد أن ظاهر التاريخ مجرد أخبار وحوليات وتقويمات، ثم يقول: (وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق.)، وهذه العبارة تشير إلى فلسفة التاريخ التي هي على حد تعبيره أصيلة في الحكمة أو الفلسفة ومن بين علومها. ويترتب على هذا أن يكون للتاريخ ظاهر وباطن، وبينما يشير الظاهر عادة إلى ما هو ظاهري خارجي براني، ممكن أن يعتريه القصور، فإن الباطن يشير إلى ما هو باطني حقيقي جواني كامن في باطن الأشياء، وفي هذه الإشارة ما يدل على تأكيد "ابن خلدون" على أن في التاريخ قصورا من الضروري استكماله بما هو أصيل في الحكمة. أما "فولتير" فقد كان أكثر صراحة في التعبير عن قصور التاريخ بقوله: (إن بعض المؤرخين يهتم بالحروب والمعاهدات ولكني بعد قراءة وصف ما بين ثلاثة آلاف واربعة آلاف معركة وبضع مئات من المعاهدات لم أجد نفسي أكثر حكمة مما كنت قبلها، لم أتعرف إلا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة.). فوقائع التاريخ تعوزها الحكمة ومساره ينقصه إدراك المغزى أو المعنى وذلك ما أغفله المؤرخون واهتم به فلاسفة التاريخ، فوجد فريق منهم في مساره تعاقبا دوريا للحضارات كتعاقب الليل والنهار وكتعاقب الفصول، ووجد فريق آخر في مساره دليل عناية الله بالإنسان بينما وجد فيه فريق ثالث سجلا لإنجازات الإنسان قدما نحو الأمام.